قبل الرحيل

نشيد الأغلال !!

[إلى ذات الرداء الجازع ... !!]

— للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سَئِمْتُ عَذَابَ الْحُبِّ ! فَلْيَمْضِ عِطْرُهُ
وَسِحْرُ أَغَانِيهِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةِ !
سَقَانِي بِمَا لَمْ يُسْقَ مِنْهُ مُحَيَّرٌ
عَلَى الْأَرْضِ ... يُسْقَى الْمَوْتَ فِي كُلِّ خُطْوَةِ
وَقَيَّدَ أَيَّامِي بِنَارٍ حَمَلْتُهَا مُقَيَّدَةَ الْأَنْفَاسِ حَوْلَ سَرِيرَتِي!
وَأَلْقَى شَبَابِي فِي هَشِيمٍ مُفَزَّعٍ
يُبَاغِتُهُ الْإِعْصَارُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ ...
فَيَا مَنْ أُنَادِيهَا ... فَيَأْتِي جَوَابُهَا
أَنَاشِيدَ أَحْزَانٍ تَفَتَّتُ مُهْجَتِي
وَيَا مَنْ أُوَانِيهَا وَقَلْبِي مُرَفْرِفٌ
فَيَرْتَدُّ مَخْنُوقَ الْأَسَى كَالذَّبِيحَةِ
وَيَا مَنْ أُغَنِّيهَا فَيَنْسَابُ دَمْعُهَا كَأَنَّ أَغَارِيدِي مَعِينُ الْبَلِيَّةِ
وَيَا مَنْ يُحِبُّ الْقَلْبُ ... دُنْيَاكِ طَلْقَةٌ
فَخَلِّي بَقَايَا الْحُبِّ تُبْلِي بَقِيَّتِي !
هَبِينِي انْطِلَاقَ الرُّوحِ ... إِنَّ صَبَابَةً
مِنَ الْأُفْقِ الْأَعْلَى تُنَادِي حُشَاشَتِي
عَبَدْتُكِ حَتَّى لَمْ أَدَعْ لِمُتَيَّمٍ
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا خَيَالاً لِنَشْوَةِ ...
سَلِي الشُّهْبَ ... هَلْ خَمْرُ الْأَصِيلِ تَدَفَّقَتْ
لِغَيْرِ خُطَانَا فَوْقَهُ كُلَّ زَوْرَةِ ؟

١٨ . ٣٩

سَلِي الرِّيحَ ... كَمْ مَرَّتْ بِنَا وَهْيَ زَامِرٌ
يُرَنِّحُ بِالْأَنْفَاسِ نَأْيَ « الْجَزِيرَةِ » ؟
لَهَا زَجَلٌ دَامِي الرَّنِينِ كَأَنَّمَا تُذِيعُ شِكَايَاتِ الزَّمَانِ الْخَفِيَّةِ
أَدَارَتْ كُؤُوسًا أَتْرَعَتْهَا بِحُبِّنَا
غَرَامًا ، وَطَارَتْ لِلضِّفَافِ الْبَعِيدَةِ ...
هَبِينَا رِيَاحًا يَا رِيَاحُ! وَسَافِرِي سِرَاعًا بِنَا نَحْوَ الْمَغَانِي السَّعِيدَةِ
شَقِينَا عَلَى الدُّنْيَا فَلَمْ نَرَ فَوْقَهَا سِوَى خُطُوَاتٍ حَائِرَاتٍ تَلَفَّتُ
أَلَا لَيْتَ هَذَا الْعُمْرَ كَأْسًا ، وَحُبَّنَا
رَحِيقًا ، فَنَحْسُو الْحُبَّ حَتَّى الثُّمَالَةِ !!
هَبِينِي انْطِلَاقَ الرُّوحِ ... إِنِّي مُصَفَّدٌ
يُجَرِّعُ مِنْ وَهْمِ الْهَوَى وَهْمَ خَمْرَةِ ...
أَدُورُ بِعَيْنَيْ تَائِهٍ فَأَرَى الصِّبَا ظَلَامًا شَقِيًّا فِي لَيَالٍ شَقِيَّةِ
وَأَسْكَرُ ... لَا مِنْ أَيِّ خَمْرٍ ! وَإِنَّمَا
غَرَامُكِ وَالْأَشْعَارُ أَذْهَلْنَ يَقْظَتِي !!
أَرَاكِ فَيَهْتَاجُ الْأَسَى فِي سَرِيرَتِي
كَمَا هَاجَتِ الذِّكْرَى بِنَفْسٍ حَزِينَةِ
بِعَيْنَيْكِ مَعْنًى لَسْتُ بَالِغَ سِرِّهِ
وَلَوْ قَادَ نُورُ الْغَيْبِ أَسْرَارَ نَظْرَتِي
رَحِيقٌ بِكَأْسٍ ؟ أَمْ سُكُونٌ يُوَاحَةٍ ؟
وَرُؤْيَا بِفَجْرٍ ؟ أَمْ صَلَاةٌ بِكَعْبَةِ ؟
وَفِي وَجْهِكِ النَّشْوَانِ عِطْرُ صَبَابَةٍ يُذَكِّرُ أَحْلَامِي بِطُهْرِ النُّبُوَّةِ
وَصَوْتُكِ أَمْ ذِكْرَى حَنِينٍ مُرَجَّعٍ
يُدَنْدِنُ فِي قَلْبٍ غَرِيبٍ مُشَتَّتِ ؟
أُحِسُّ بِهِ فِي كُلِّ فَجْرٍ بِخَاطِرِي صَدَى قُبْلَةٍ حَيْرَى إِلَيَّ تَهَادَتِ
رَفِيفُ بِأَيْكٍ؟ أَمْ نَشِيدٌ عَلَى فَمٍ إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يَخْفِقْ صَدَاهُ بِنَبْرَةِ؟
سَرَقْتِ حَيَاةَ الْمَوْجِ ، طَوْرًا وَدِيعَةً
كَحُلْمِ حَزِينٍ ، أَوْ تَبَسُّمِ طِفْلَةِ
وَطَوْرًا هَدِيرُ الْبَحْرِ مِنْكِ ارْتِمَاشُهُ
كَأَنَّكِ بَحْرٌ مِنْ شَبَابٍ وَفِتْنَةِ !

وَصَدْرُكِ لَوْ يَدْرِي الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلِي
أَمَانٌ لِرُوحِي مِنْ رِيَاحِ الْمَنِيَّةِ
نَشِيدٌ بِهِ لُحْنَانِ مِنْ قَلْبِ مِزْهَرٍ
يَدُ اللهِ كَانَتْ فِيهِ أَقْدَسَ رِيشَةِ
وَطَيْرَانِ فِي أَيْكٍ زَوَى الْخُلْدُ عِطْرَهُ
فَحُرِّمَ لَا يَسْرِي بِهِ طَيْفُ نَسْمَةِ
وَحُلْمَانِ ... لَكِنْ مِنْ لَهِيبٍ وَنَشْوَةٍ
غَرِيقَانِ فِي الرُّؤْيَا بِأَطْهَرِ غَفْوَةِ !
وَذَاتُكِ فَجْرٌ فِي لَيَالِيَّ هَائِمٌ يُبَارِكُ بِالْأَنْوَارِ مِحْرَابَ عُزْلَتِي
تَنَزَّهَ عَنْ قَيْدِ الزَّمَانِ، فَعُمْرُهُ خُلُودُ مُضِيءٍ فِي الضُّحَى وَالْعَشِيَّةِ
وَتَغْرُكِ يَا وَحْيَ الْأَنَاشِيدِ رَحْمَتِي إِذَا ظَمَأُ الْإِلْهَامِ أَشْعَلَ غُلَّتِي
غِنَائِي، وَخَمْرِي، وَانْتِعَاشِي، وَسُكْرَتِي
وَسِحْرِي، وَشِعْرِي، وَايِّهَالِي، وَسَجْدَتِي
تَمَنَّعَ حَتَّى كَادَ لَوْ خَطَرَتْ بِهِ بَنَانُكِ يَسْقِيهَا عِتَابَ الْقَدَاسَةِ !
كَأَنِّي بِهِ نَبْعٌ مِنَ النُّورِ وَالْهَوَى تَخَيَّرَ لِلْحِرْمَانِ أَمْنَعَ ذِرْوَةِ
هَبِينِي شُعَاعًا فِي الضُّحَى رَفَّ حَوْلَهُ
وَصَلِّ وَلَاقَى اللهُ فِي خَيْرِ بُقْعَةِ ...
سَلَامًا مَحَيِّي الرُّوحِ يَا طَيْفَ رُوحِهَا إِذَا هِيَ أَشْقَاهَا هَوَانًا فَمَلَّتِ
تَظَلُّ تُصَافِينِي إِذَا صَدَّ نُورُهَا وَتَحْنُو إِذَا ازْوَرَّتْ دَلَالًا وَتَاهَتِ
أُرِيدُ لِأَنْسَاهَا... فَأَلْقَاكَ فِي دَمِي نَبِيًّا مِنَ الذِّكْرَى عَتِيَّ الرِّسَالَةِ
تُشَعْشِعُ بِالْأَحْلَامِ رُوحِي وَفِي الْكَرَى
تَفَجَّرُ مُوسِيقَا الْحَنَانِ الشَّجِيَّةِ ...
سَلَامًا حَبِيبَ الرُّوحِ ... يَا طَيْفَ رُوحِهَا
أَغِثْ شَجَنِي ، وَارْحَمْ شَبَابِي وَعِلَّتِي !
أَعِنِّي عَلَى نِسْيَانِهَا ... وَامْضِ طَائِرًا
يَعِيشُ عَلَى ذِكْرَى الْهَوَى فِي الْخَمِيلَةِ
تَرَكْتُ لَكَ الْمَاضِي رَبِيعًا مُقَدَّسًا فَأَيَّانَ تَطْرِقْ فِيهِ تَسْمَعْ نَمِيمَتِي
فَفِيهِ جَلَالٌ مِثْلَمَا فِيكَ خَالِدٌ وَفِيهِ كَمَا فِيهَا عَوَالِمُ هَيْبَةِ
وَفِيهِ رُبَى خُضْرُ الظِّلَالِ عَوَارِفٌ بِسِرٍّ هَوَانَا فِي شَذَى كُلِّ زَهْرَةِ
فَطُفْ مِثْلَمَا طُفْنَا زَمَانًا بِسَاحِهِ
وَذُقْ فِيهِ طَعْمَ السِّحْرِ مِنْ كُلِّ ذَرَّةِ
وَنَاجِ طُيُورًا لَمْ يَزَلْنَ بِأُفْقِهِ يُرَتِّلْنَ تَوْرَاةَ الْهَوَى كُلَّ لَيْلَةِ
وَحَوِّمْ عَلَى غُدْرَانِهِ تَلْقَ عِنْدَهَا أَمَاسِينَا سُكْرَى عَلَى كُلِّ ضِفَّةِ
وَعَلِّنِيَ السُّلْوَانَ إِنْ كُنْتَ سَالِيًا
فَإِنِّيَ عَنْهُ فِي عَمَاءٍ وَضَلَّةِ
ظَلَلْتُ عَلَى نَارِي أُرَاوِدُ طَيْفَهُ فَيَخْفَى وَيَرْمِينِي بِنَارٍ جَدِيدَةِ !
فَيَا رَبَّةَ الْأَحْلَامِ فُكِّي وَثَاقَهَا وَلَا تَحْسِبِيهَا غَيْرَ رُؤْيَا جَمِيلَةِ
تُرِيدِينَ أَسْرِي فِي الْهَوَى ، وَأَنَا الَّذِي
تُحَطِّمُ أَغْلَالَ الزَّمَانِ سَكِينَتِي !
أَلَا أَطْلِقِينِي لِلسَّمَاءِ ، وَحَلِّقِي إِذَا شِئْتِ فِي دُنْيَا خَيَالِي الرَّهِيبَةِ
غَدَوْتُ رَمَادًا أَنْتِ سِرُّ انْطِفَائِهِ وَأَنْتِ بِهِ سِرٌّ يُخَلِّدُ جَذْوَتِي ...
أَلَا مَنْ لِطَيْرٍ فِي رَوَابِيكِ هَائِمٍ وَيَشْتَاقُ لِلْحِرْمَانِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ !
هَبِيهِ لِصَحْرَاءِ الْأَسَى ، فَلَرُبَّمَا
يُضِيءُ مِنَ الْأَحْزَانِ نُورُ الْحَقِيقَةِ !

محمود حسن اسماعيل

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأعداد الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد .